محاضرة رقم (03): الوثائق

1- تعريف الوثيقة:

استوثقَ من يستوثق، استِيثاقًا، فهو مُستوثِق، والمفعول مُستوثَق • استوثق الشَّخصَ: وضع فيه ثِقَتَه، أي ائتمنه "لو لم يستوثقه لما ترك لديه أشياءه الثمينة في غيابه". استوثق من الشَّخصِ: أخذ منه الوثيقة "ابتاع الأرض واستوثق من صاحبها". استوثق من الأمرِ: أخذ فيه بالوَثاقة أي بالأمانة وتثبَّت وتأكّد منه "استوثقوا من الأموال بالأبواب والأقفال: أغلقوا الأبواب عليها وأقفلوا الأقفال حتَّى تثقوا بألاّ تصيبها يدُ مُختلس.

اصطلاحا:

وعلى هذا الأساس الوثائق في الجانب الاصطلاحي هي المستندات التي تصدر من جهات رسمية أو من أفراد لهم صفة رسمية.

أو هي كل ما خلفه الحدث التاريخي وهناك الوثائق المنشورة والوثائق الغير منشورة (المعروفة والغير معروفة).

وقد اختلف فيها الباحثون وذكرتها بعض المصادر للوثائق فدوائر المعارف والموسوعات ذكرت تعريفات عامة وشاملة للوثائق، فالموسوعة العربية الميسرة وصفت الوثائق بأنها: (المخطوطات) التي تتألف من لفائف البردي وأدراج الرق أو مطبوعات تشمل الإجراءات والمراسيم والقوانين والأوامر وحسابات الأموال وغيرها... مما ينشأ عن تأدية أي عمل من أي نوع ويرجع إليها عند الدراسة، وهي لا تقتصر على وثائق الحكومة بل قد تكون لوثائق مؤسسات أو لأشخاص أو لجهات معينة... يستخلص منها الباحثون أدلة لموضوعات تاريخية أو اقتصادية أو اجتماعية أو دينية أو سياسية أو قضائية.

ونظرا لأهميتها صارت لديها ولاية قانونية لكي تبقى بعيدة عن أيدي العابثين المفسدين وقد برزت أهميتها في العصر الحديث فأنشأت بسببها في المعاهد والكليات أقسام خاصة بها ومدارس تهتم بشأنها.

والحقيقة أن مفهوم الوثيقة واسع وشامل لكل وعاء للمعلومات سواء كان قطعة أثرية أو مخطوطة أو مستند قانوني أو وثيقة أرشيفية أو كناشة شخصية، والوثائق أنواع هي:

1- الوثائق الغير المنشورة:

هي مجموعة الأفراد والتقارير ومحاضر الجلسات والاجتماعات والسجلات وأوراق الدولة والسياسيين والمسؤولين وتقاريرهم السرية والتي تزال في دور الوثائق أو مراكز الأرشيف ولم يطلع عليها الباحثون بعد أو حتى عند بعض الأشخاص والعائلات مثل ما هو موجود في مكتبة الزوايا أو وثائقنا في دور أرشيف أوربا وعلى وجه الخصوص فرنسا.

2- الوثائق المنشورة:

هي عبارة عن وثائق قامت بعض الجهات بنشرها لإرشاد الباحثين لموضوعاتها ومثال ذلك عن تاريخ الجزائر الحديث نجد:

أ- سلسلة بيت المال والبايلك :

موجودة هذه السلسلة، بالمركز الوطني للأرشيف الجزائري وهي عبارة عن سجلات إدارية خاصة بالفترة العثمانية المكتوبة باللغتين العربية والتركية وتشمل معلومات عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية مثل بيانات الضرائب المختلفة التي كانت تجمع من مختلف القطاعات والأوقاف ومداخيلها وأوجه إنفاقها وفيها حتى الأعوان الإداريين المكلفين بها وبالرغم من غزارة هذا النوع من الوثائق فإنها لا تغطي كل الفترة العثمانية فمعظمها يعود إلى القرن 18 و19 ميلادي كما أنها تقتصر على جهات من البلاد الجزائرية فقط والقسم الأكبر منها خاص بمدينة الجزائر وفحوصها.

ب- سلسلة وثائق المحاكم الشرعية:

هي عبارة عن العقود المبرمة بين الأشخاص في المحاكم الشرعية كالزواج والطلاق مثلا والمواريث البيع والشراء وعتق العبيد...، ويعد هذا النوع من الوثائق من المصادر الأساسية لدراسة أحوال المجتمع خلال العهد العثماني وعادة ما كانت تخص سكان المدن من الدرجة الأولى.

ج- سلسلة الوثائق السياسية:

هي عبارة عن الرسائل المتبادلة بين حكام الجزائر والباب العالي والتقارير التي كان يرسلها وكلاء الجزائر والدولة العثمانية في الولايات المشرقية والبلدان الأوروبية إلى سلطاتهم وكذلك الفرمانات (القوانين) التي كان يصدرها سلاطين آل عثمان الخاصة بالجزائر وهي كلها وثائق سياسية إلا أننا نجد فيها معلومات متنوعة سياسية واقتصادية وثقافية ودينية واجتماعية.

وبما أن البحث التاريخي الذي لا يقوم على المصادر الأصلية بحث ضعيف لا يرقى للمستوى العلمي المطلوب وبما أن العثور على الوثائق الأصلية كالعثور على كنز، فالوثائق التاريخية من أهم المصادر في الكتابة التاريخية.

- وما يجب ذكره في هذا السياق هو التحقق من أصالة الوثائق وذلك بإتباع طرق علمية معروفة لدى الباحثين (دراسة الجانب الخارجي، دراسة الجانب الداخلي "الباطني"، التحليل والمقارنة والاستنتاج والتأني في إصدار الأحكام حولها) رغم أهمية الوثائق ينبغي على الباحث أو المؤرخ إخضاعها لمقاييس النقد ظاهريا وباطنيا لإثبات صحتها وعلى الرغم من أن كاتب الوثيقة قد عاش في وقت لم يكن في ذهنه أن ما يكتبه سيكون ذا قيمة تاريخية ويعتمد عليه في التأليف وربما أن هذه الوثائق

كانت تعبر عن رأي أصحابها والذي لا يخلو من التحيز أو المبالغة (الشك رائد حكمة المؤرخ).

وبالرغم من أهمية الوثائق إلا أنها لا تضع الحقيقة التاريخية بل تظل **أداة صماء** في يد من لا يعرف كيفية التعامل معها والحقيقة أن الوثائق تحتاج إلى سعة المعرفة والإطلاع والقدرة العلمية في معالجة المسائل التاريخية والتعرف على ملابسات الوقائع لإبراز ما بها من خفايا وأسرار وتلك هي الغاية من التاريخ والكتابة التاريخية.

*** المخطوطات**:

إن المعنى الكامل لكلمة مخطوطة يعني أي شيء كتب بخط اليد (غير مطبوع) سواء كان على شكل كتاب أو كراسة أو كناشة أو ورقات أو صورة أو خارطة بشرط أن تكون قد مضت عليها فترة من الزمن لا تقل في أغلب الأحيان عن مائتي سنة وكانت لها قيمة مادية وقيمة علمية (وتستثنى من شرط المدة هذه الوثائق الخاصة والرسائل الشخصية).

والمخطوطات هي نوع من المصادر التاريخية التي لها تأثير خاص في وسط الناس باعتبارها تحمل معلومات قد تكون خطيرة أحيانا وفي ضوء هذا التعريف يمكن أن تكون المخطوطة كتابا وفي هذا الشأن نذكر بعض المخطوطات التي تخص تاريخ الجزائر الحديث:

- النوازل لعبد الكريم الفكون:

* مخطوط أسرة بن الفكون بقسنطينة يرمز له (م.خ) خزانة بقسنطينة.
* محدد السنان في نحور إخوان الدخان لعبد الكريم الفكون أيضا خزانة الفكون.
* سجل الضرائب التي كان يدفعها أعراش قسنطينة مخطوط من المكتبة الوطنية الجزائرية 1646.
* مؤلف مجهول: سيرة الزواوة مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية 3012.
* تاج المفرق في تحلية علماء المشرق لأبي البقاء خالد البلوي مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 4641 وcd 566.
* غزوات أوروج وخير الدين مؤلف مجهول تحت رقم 1622 -1623.
* مخطوط الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها الجنود الكفرة so1191626.
* أسماء حكام الجزائر cd1637 و129 دفتر تشريفات تحت رقم 164924 cd.
* كشف الرموز في شرح العقاقير والاعشاب 1764255cd.
* سجلات أستعملت كرواتب للجند في العهد العثماني من (1960-1986).

هناك مخطوطات عديدة يجب العودة إليها في المكتبة الوطنية على سبيل الذكر حيث وضعت فهارس خاصة بالمخطوطات وهي تتواجد في الطابق الأرضي

من مبنى المكتبة الوطنية بمدينة الجزائر وليس من السهولة الحصول على هاته المخطوطات إلا إذا كان الشخص باحثا جامعيا أو أكاديميا.

*** الرسائل الشخصية والسير الذاتية والمذكرات:**

يمكن القول أن الرسائل الشخصية والسير الذاتية وكتب المذكرات هي التي يمتلكها الأشخاص أو تحتفظ بها بعض الأسر بصفتها تراثا خاصا بها أو لأحد أفرادها وهي من نتاجهم وليس من نتاج الإدارات والمؤسسات الحكومية وعادة ما نجدها تعبر عن مشاعر وحقائق شخصية ولا تعبر عن نشاط إداري حكومي وعادة أيضا ما تتناول مواضيع مختلفة ولنا في هذا المقام أمثلة كثيرة من مصادر تاريخ الجزائر الحديث حيث نذكر:

الرسائل مثل:

1- مراسلة محمد ابن عبد الكريم المغيلي إلى السيوطي حول الأخذ بعلوم المنطق.

2- مراسلات عبد الكريم الفكون مع أحمد المقري.

- وفي السير الذاتية نجد مثال : فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته السيرة الذاتية لأبو راس الناصر.

وفي المذكرات نجد مثال:

1-مذكرات أحمد باي وبوضربة وحمدان خوجة تحقيق محمد العربي الزبيري.

2-سيمون بفايفر لمحة تاريخية عن الجزائر ومذكرات جزائرية عشية الاحتلال.

3-مذكرات أسير الداي قنصل أمريكا في المغرب: كاثكارت ليندر.

4-مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر وليام شالر.

لقد أعيد الاعتبار للمذكرات الشخصية وكتب السير كونها مرآة التاريخ الذاتي للأفراد وعادة ما يكونون فاعلين ومؤثرين ومتأثرين في حراك المجتمع فسواء كان صاحب المذكرات فاعل ثقافي أم فكري فإن كلامه وخطابه عبارة عن وثيقة تاريخية تخضع للتفسير والتحليل لتصبح من معطيات المعرفة التاريخية ودائما النسبية في إصدار الأحكام هي المعيار حولها.